جامعة محمد بوضياف المسيلة
معهد تسيير التقنيات الحضرية

قسم: العمران والمدينة
مادة: تاريخ العمران
السنة : الاولى ليسانس **الاستاذ: د. منصور خميسي**

الموضوع : العمران الاستعماري

- خلال عصر النهضة، بدأ التوسع العالمي للحضارة الأوروبية. تعد الإنجازات الحضرية والمعمارية في أقاليم ما وراء البحار أكثر أهمية بشكل عام من تلك التي تم إجراؤها في البلد الأم. والواقع أن المدن والتطورات الإقليمية التي نشأت في العصور الوسطى موجودة بالفعل في أوروبا، وهي تكفي لتلبية احتياجات مجتمع عصر النهضة ولا يتم تعديلها إلا جزئيا. ومن ناحية أخرى، وجد الغزاة والتجار الأوروبيون في بقية أنحاء العالم مساحة عذراء هائلة، حيث يمكنهم تنفيذ برامج جديدة وواسعة للاستعمار والتحضر.
- في هذا الفضاء الأكبر بكثير توجد الطاقات ويتم توزيعها بطريقة تتناقض مع الظروف: في أوروبا يتم اختيار متخصصين رفيعي المستوى، ولكن لا يتم تنفيذ عمل مهم للغاية؛ في المستعمرات، يجب القيام بكل شيء ولكن المهارات غير متوفرة، ولا تتوفر سوى المنتجات الثانوية للأبحاث الأوروبية. وهكذا، في الإطار العام لحضارة عصر النهضة، لم تعد الجودة والكمية متطابقتين؛ تُفقد القيمة النوعية للنماذج الثقافية الجديدة في الصراعات الأوروبية ولا يمكن نشرها بشكل مناسب في السياق العالمي. ومع ذلك، فإن الجودة العالية للنماذج والجودة المنخفضة للتطبيقات هما جانبان مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بنظام ثقافي واحد. لمحاولة تفسير الانتقال من واحدة إلى أخرى، دعونا ننظر أولاً إلى مدن الموانئ الأوروبية التي تشكل نقاط البداية للمغامرة المحيطية: أنتويرب، التي تحل محل بروج كمركز رئيسي للتجارة البحرية من شمال أوروبا؛ لشبونة وإشبيلية، الموانئ الأطلسية للبرتغال وإسبانيا؛ وجنوة، التي أصبحت بعد تحالف شارل الخامس أهم قاعدة في البحر الأبيض المتوسط للإمبراطورية الإسبانية.

- في هذه المدن الغنية والمزدحمة، تصل المساهمات الثقافية دون أن تكون مشوهة، ولكنها فقيرة بسبب الاتجاه التكنولوجي والتجاري نحو التخطيط الذي سنجده على الجانب الآخر من المحيط:

- في القرن السادس عشر، كان استكشاف الأراضي فيما وراء البحار حكرًا على الدولتين الأيبيرية، إسبانيا والبرتغال؛ فقط في القرن التالي اتجهت القوى العظمى نحو المحيط الأطلسي وفرنسا وإنجلترا وبريطانيا العظمى وهولندا.
- في عام 1494، وضع البابا ألكسندر السادس الخط الفاصل بين المناطق المخصصة للاستعمار البرتغالي وتلك المخصصة للاستعمار الإسباني: خط الطول الذي يبلغ 270 فرسخًا خارج جزر الأزور. لقد سعى البرتغاليون منذ فترة طويلة إلى إيجاد طريق بحري للوصول إلى الشرق، وفي عام 1498 وصل فاسكو دا جاما إلى الهند عن طريق الإبحار حول أفريقيا. قام الأسبان بتمويل رحلة كريستوفر كولومبوس، الذي وصل في عام 1492 إلى القارة الأمريكية.
- يجد البرتغاليون في نصف الكرة الغربي سوى أراضٍ فقيرة وغير مضيافة (البرازيل وجنوب إفريقيا)، أو في الشرق، وجدوا دولًا مكتظة بالسكان ومتصلبة للغاية لم يتمكنوا من احتلالها؛ ولذلك أسسوا فقط سلسلة من القواعد البحرية للسيطرة على التجارة المحيطية، ولم يتمكنوا من تنفيذ استعمار حقيقي واسع النطاق. من ناحية أخرى، واجه الإسبان في منطقتهم الأراضي الأكثر ملاءمة للاستعمار: مرتفعات أمريكا الوسطى والجنوبية، التي كانت إمبراطورياتها الأصلية أكثر ثراءً وأكثر تطورًا ولكنها غير قادرة على مقاومة الغزاة الأوروبيين. يحتل كورتيس في المكسيك وبيزارو في بيرو مكانة معينة مدن السكان الأصليين الكبيرة – تينوختيتلان التي أصبحت المكسيك، وتحويلها وفقًا لاحتياجات المستعمرين الإسبان؛ لكنهم في جميع أنحاء القارة دمروا المستوطنات الأصلية المنتشرة في جميع أنحاء الإقليم، وأجبروا السكان على الاستقرار في مدن مدمجة جديدة، مثل تلك الموجودة في الهضبة الإسبانية العالية.
- تتبع المدن الجديدة نمطًا موحدًا: رقعة شطرنج من الشوارع المستقيمة، التي تحدد سلسلة من الكتل، دائما تقريبا مربعة. وفي وسط المدينة، بإزالة أو تقليص بعض الكتل، يتم فتح ساحة تطل عليها أهم المباني: الكنيسة، دار البلدية، بيوت التجار وأغنى المستوطنين.
- في المكسيك، حيث يجب أن يتحول عدد كبير من السكان إلى المسيحية، يسبق الكنيسة فناء كبير (باتريو) وبجانب الواجهة يوجد نوع من الكنيسة المخرمة (كابيلا دي إنديوس)، للتعبير عن القداس في الهواء الطلق في العيد أيام، وقد فرض هذا النموذج من قبل السلطات منذ السنوات الأولى للفتح، وقد دونه فيليب الثاني في قانون عام 1573، وهو أول قانون للتخطيط العمراني في العصر الحديث. وإليكم أهم المتطلبات:

–الحبال والأوتاد، بدءًا من الساحة الرئيسية حيث يجب أن تتجه الشوارع نحو البوابات والطرق الريفية الرئيسية، وإلى المدينة، مما يترك مساحة حرة كافية لها لتنمو وتتوسع دائمًا بنفس الطريقة

يجب أن تكون الساحة الرئيسية في وسط المدينة، وتكون مستطيلة الشكل، ويبلغ طولها على الأقل مرة ونصف عرضها، لأن هذه النسبة هي الأنسب للمهرجانات التي يستخدم فيها الناس الخيول، و مراسم أخرى. سيكون حجم المكان متناسبًا مع عدد السكان، مع الأخذ في الاعتبار أن مدن جزر الهند الجديدة

من المتوقع أن تنمو؛ وغني عن القول، على وجه التحديد، أنها سوف تنمو. ولذلك فمن الضروري تخطيط المكان فيما يتعلق بالنمو المحتمل للمدينة. ويجب ألا يقل عرضه عن 200 قدم وطوله 300 قدم، ولا يزيد عرضه عن 500 قدم وطوله 800 قدم. يبلغ طول المربع المتناسب جيدًا ذو الحجم المتوسط 600 قدم وعرضه 400 قدم.

–وتنبثق من الساحة الشوارع الأربعة الرئيسية، كل منها من نقطة المنتصف من كل جانب، وشارعان آخران، من كل زاوية. ويجب أن تكون الزوايا الأربع موجهة نحو النقاط الأساسية الأربع، بحيث لا تتعرض الشوارع المؤدية من الميدان للرياح الأربع الرئيسية بشكل مباشر. سيتم تجهيز الساحة بأكملها، والشوارع الأربعة الرئيسية المؤدية منها، بأروقة، لأنها مناسبة تمامًا للأشخاص الذين يتجمعون هناك لممارسة الأعمال التجارية. [...]

–ويجب أن تؤدي الشوارع الثمانية المؤدية إلى أركان الميدان الأربعة إلى هناك دون أن تعوقها أروقة الميدان. ويجب أن تتوقف هذه الأروقة عند الزوايا بحيث يمكن أن تتماشى أرصفة الشوارع مع أرصفة الساحة. الشوارع واسعة في المناطق الباردة، وضيقة في المناطق الحارة؛ ولكن بهدف دفاعي،

حيث يتم استخدام الخيول، يجب أن تكون واسعة. [...] في المدن الداخلية، لا ينبغي أن تقع الكنيسة على محيط الساحة، ولكن على مسافة تجعلها تبرز بشكل واضح، وتظهر منفصلة عن المباني الأخرى في الساحة بحيث يمكن رؤيتها في كل مكان؛ وبالتالي سوف يبدو أكثر جمالا وأكثر فرضا. سوف تحتاج إلى رفعها إلى حد ما، بحيث يتعين على الناس تسلق سلسلة من الخطوات للوصول إلى المدخل. سيتم بناء المستشفى الذي يتم فيه الترحيب بالفقراء والمرضى غير المعدية في الجانب الشمالي بحيث يكون مكشوفًا للجنوب. [...] يجب ألا تُمنح أرض البناء الواقعة حول الساحة الرئيسية للأفراد، بل تكون مخصصة للكنيسة والمباني الملكية والبلدية والمحلات التجارية ومساكن التجار، التي يجب بناؤها أولاً.

–سيتم سحب القطع المتبقية بشكل عشوائي وتوزيعها على المستوطنين المصرح لهم بالبناء حول الساحة الرئيسية. يجب الاحتفاظ بالقطع غير المخصصة للمستوطنين الذين من المحتمل أن يصلوا لاحقًا، أو التخلص منها وفقًا لتقديرنا.

- تأتي هذه القواعد إما من تقاليد العصور الوسطى (المدن الجديدة التي تأسست في القرن الثالث عشر وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر – المعاقل الفرنسية، والبوبلاسيون الإسبانية، الموضحة في الفصول السابقة، والتي انتشر نموذجها في جميع أنحاء ريف أوروبا ، أو من ثقافة عصر النهضة المتمثلة في أطروحات فيتروفيوس، وألبرتي، وما إلى ذلك، ومن روح الانتظام الهندسي الذي أصبح الآن عادة عامة ومطلبًا أساسيًا للتقنيةإنتاجي.

ومن الناحية العملية، يؤدي الجمع بين هذه العوامل إلى إنتاج نوع جديد من المدن يمكننا أن نعدد بعض خصائصها الأصلية:

– ما يتم تأسيسه عند تأسيس المدينة ليس كائنًا ثلاثي الأبعاد، بل ترازا (مخطط حضري ثنائي الأبعاد، كما في فيرارا). في الواقع، نحن لا نخطط لبناء المباني على المدى القصير، وبشكل أو بآخر في وقت واحد، كما كان الحال في العصور الوسطى؛ يتم تخصيص أرض البناء، والتي سيبني عليها أصحابها متى وكيف يريدون. في المدن الأمريكية، يكون تصميم الشوارع والساحات أحيانًا فخمًا بلا داعٍ، في حين أن المباني منخفضة ومتواضعة (المنازل تحتوي دائمًا على طابق واحد؛ الشكل 921 إلى 923).

– يجب أن تكون المدينة قادرة على التطور، ولا نعلم إلى أي حجم ستصل؛ ولهذا السبب يمكن توسيع مخطط رقعة الشطرنج في كل الاتجاهات، حيث يصبح من الضروري إضافة كتل جديدة. دائمًا ما يكون الحد الخارجي للمدينة مؤقتًا، خاصة لأنه ليست هناك حاجة للأسوار أو الخنادق (لم يتم تحصين المدن الأقرب إلى الساحل للدفاع ضد القراصنة إلا في القرن الثامن عشر). إن التناقض بين المدينة والريف، الواضح جدًا في أوروبا وخاصة في إسبانيا، يضعف، بسبب عدم دقة الحدود، وبسبب وفرة المساحات المفتوحة الموجودة في المنطقة الحضرية (غالبًا ما تحتوي المنازل الاستعمارية على فناء خاص) ، وفي وسط المدينة تفتح المساحة الفارغة الكبيرة التي تشكلها الساحة الرئيسية.

– إن توحيد رقعة الشطرنج – الذي يتم تحديده غالبًا حول طاولات عمل البيروقراطية الإسبانية، يمنع أي تكيف مع طبيعة المكان. ولهذا السبب تتمتع مدن أمريكا الإسبانية بمظهر أبسط من المدن الأوروبية في العصور الوسطى (التي استخدمت مخططات أكثر تنوعًا، ومحددة على أرض الواقع). كما أن عدم اليقين بشأن التنمية المستقبلية يجعل المشهد الحضري غير مستقر وموحد؛ وبعض المدن، التي كانت تضم في البداية بضع عشرات من المباني، تتوسع وفقًا لنفس الخطة، حتى تصبح مدنًا كبرى. يمكن استخدام المخطط الأولي الذي تم وضعه في القرن السادس عشر لتطوير المدينة في القرن التاسع عشر وحتى اليوم؛ في الواقع، إنها تشبه، في كثير من النقاط، خطة تنظيمية معاصرة.

تعد المدن الاستعمارية الأمريكية أهم إنجازات التخطيط الحضري في القرن السادس عشر. إن فقرهم، مقارنة بصقل وطموحات الثقافة الفنية الأوروبية، يظهر أن الطاقات لم تعد موزعة وفقا للمهام التي يتعين القيام بها في أوروبا.

- أمريكا تصمم وتبني مدن بأكملها. ومع ذلك، فإن الهدف هو نفسه: إعادة النظام إلى البيئة المبنية، وفقا للمبادئ الجديدة للتماثل والانتظام الهندسي. ومن خلال فرض هذه المبادئ، يؤكد الأوروبيون هيمنتهم على جميع أنحاء العالم، نموذج رقعة الشطرنج الذي صممه الإسبان في القرن السادس عشر لتتبع المدن الجديدة في أمريكا الوسطى والجنوبية، طبقه الفرنسيون والإنجليز في القرنين السابع عشر والثامن عشر لاستعمار أمريكا الشمالية. تعتبر الثقافة العلمية الجديدة هذه الشبكة أداة عامة جدًا، يمكن تطبيقها على أي نطاق لرسم مدينة، أو تقسيم منطقة زراعية، أو تحديد حدود الدولة. التضاريس أنشأ جيفرسون، أحد مؤسسي الولايات المتحدة الأمريكية، في عام 1785 شبكة موجهة وفقًا لخطوط الطول والتوازيات، والتي كان من المقرر استخدامها لاستعمار الأراضي الجديدة في الغرب (تحتوي

كل شبكة على 16 ميلًا مربعًا، ويمكن تقسيمها إلى 2 أو 4 أو 8 أو 16 أو 32 أو 64 جزءًا أصغر). هذه هي الطريقة التي يتم بها تحديد النموذج الهندسي الذي سيتم بناء المشهد الحضري والريفي للعالم الجديد .